

في الجمعيم البلقاني

البانيا الفتاة

لمناسبة حوادثها الأخيرة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أعلن استقلال ألبانيا قبل أن تقرر معاهدة لندن ، وطلب اليه باسم الشعب الألباني أن يقبل عرش ألبانيا ، فلبى البرنس الدعوة ولقب « بأمبرت » ألبانيا وهو تصغير للقب الامبراطور ، وتولى أسعد باشا في الحكومة الجديدة وزارتي الداخلية والحربية ، ولكن الخلاف لم يلبث أن دب بينه وبين البرنس ، واضطربت شئون ألبانيا ، وتفاقت الصماب حول الملك الجديد ، وأضرم أسعد باشا نار الثورة فأرغم البرنس على مغادرة ألبانيا ، لأشهر قلائل من مقدمه ، وقبض أسعد باشا على رئاسة الحكومة الجديدة (اكتوبر سنة ١٩١٤) ، واختارت ألبانيا ملكاً جديداً هو البرنس برهان الدين ابن السلطان عبد الحميد . ولكن البلاد لبثت تتخبط في غمار الاضطراب والفوضى ؛ وكانت الحرب الكبرى قد اضطرت قبل ذلك بقليل ، وأخذت دول الحلفاء تتطلع الى ألبانيا كمرکز حربى هام ، وتخشى أن تفقد قاعدة لحركات ألمانيا والنمسا في المشرق ؛ وفي ديسمبر سنة ١٩١٤ بعثت إيطاليا - بإيماز الحلفاء - حملة عسكرية الى نهر قالونا الألباني فاحتلته ؛ وعلى أثر ذلك وقعت بين الدول مفاوضات سرية بشأن ألبانيا ، وواعد الحلفاء بأن يتركوا ألبانيا غمياً لإيطاليا مقابل دخولها في الحرب منهم ؛ ووعدت النمسا من جانبها إيطاليا بأن تؤيد احتلالها لنهر قالونا وتطلق يدها في ألبانيا إذا هي لزمته الحياذ . ولكنها لما رأت تردد إيطاليا دفعت جيوشها الى الجنوب ؛ وفي أواخر سنة ١٩١٥ غزت الجنود النمساوية الألبانية ألبانيا واستولت على اشقودرة ، ووصلت الى ظاهر تيرانا عاصمة ألبانيا ، وغزت الجيوش البلغارية شرق ألبانيا ؛ فاضطربت حكومة أسعد باشا الموالية للحلفاء وسقطت ؛ واضطرت إيطاليا إلى إخلاء نهر دورازو ولكنها احتفظت بنهر قالونا . ولبث الألمان والنمساويون يحتلون شمال ألبانيا وشرقها لتأمين مواصلاتهم مع تركيا والميادين الشرقية حتى نهاية الحرب الكبرى . ولما انتصر الحلفاء كان من المقرر أولاً أن يعطى القسم الجنوبي من ألبانيا لليونان ، ووافقت إيطاليا على ذلك بشرط أن تعترف اليونان بحمايتها على بقى ألبانيا مع التنازل عن سلخة شمالية لصربيا ، ولكن هذا التقسيم لم يتم ؛ وعادت إيطاليا إلى المطالبة بتنفيذ الوعد الذي

في أوروبا دولة إسلامية صغيرة يمدق الخطر اليوم بمصايرها ؛ ويتطلع الاستعمار الأوربي إلى اقتراسها : تلك هي مملكة ألبانيا التي أثارَت حوادثها الأخيرة كثيراً من التساؤل والاهتمام ، وهي الدولة المسلمة الوحيدة في أوروبا ، لأن تركيا لم تبق بعد من الوجهة الجغرافية دولة أوربية ؛ ومن الأسف أن هذه الملكة الصغيرة تجد نفسها ، منذ حصلت على استقلالها قبيل الحرب الكبرى ، بسبب ظروفها الجغرافية ، مهددة لأطباع ومنافسات دولية قوية لا تستطيع خلاصاً منها ، وترى نفسها مرغمه بحكم ضعفها وعزلتها إلى التماس العون والحماية من أولئك الذين يتطلعون إلى اقتراسها كانت ألبانيا قبل الحرب ولاية تركية . ولكن هذه الأمة الصغيرة الباسلة تناضل في سبيل استقلالها منذ بداية القرن التاسع عشر ؛ وقد استطاعت فعلاً أن تحصل على نوع من الاستقلال في عهد زعيمها على باشا اليانيني في أوائل هذا القرن ، فلما انهار سلطان هذا الزعيم الذي تملأ حياته وسيره الروعة كثيراً من صحف القمص الغربي ، انهارت جهود ألبانيا في الاستقلال ، وعادت تركيا فكنت منها نيرها وسيادتها . ولما نشبت الحرب بين تركيا والدول البلقانية في سنة ١٩١٢ ، كان من نتائجها استقلال ألبانيا ، قضت به معاهدة لندن التي عقدت بين الدول في مايو سنة ١٩١٣ ، واتفقت الدول على اختيار حاكم للدولة الجديدة المستقلة ، ووقع اختيارها على البرنس دي فيد الألماني . وفي أوائل سنة ١٩١٤ قدم البرنس دي فيد إلى ألبانيا بعد أن زار حكومات الدول الأوربية المختلفة ، فاستقبله وفد من الزعماء الألبانيين وعلى رأسهم عميدهم أسعد باشا بطل اشقودرة الذي

قطع لها بالاستيلاء على ألبانيا . وفي مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠)
الذي عقد للنظر في مسألة الانتدابات ، منح الانتداب على ألبانيا
لايطاليا ، وأخذت إيطاليا تعمل لاحتلال ألبانيا وبسط سيادتها ؛
ومع أن ألبانيا عدت عضواً في عصبة الأمم ، فإن إيطاليا استطاعت
في أواخر سنة ١٩٢١ أن تحمل بريطانيا العظمى وفرنسا واليابان
على إصدار تصريح تعترف فيه « بأن انتهاك الحدود الألبانية أو
استقلال ألبانيا يمكن أن يعتبر خطراً على سلامة إيطاليا من
الوجهة العسكرية »

على أن ألبانيا لم تستكن لهذه المحاولات الاستعمارية . والشعب
الألباني شعب باسل رغم كونه يقل عن المليونين عدداً (نحو مليون
وسبعمائة ألف ثلاثمئة من المسلمين) ، يقدس حرياته واستقلاله ،
ولهذا عادت ألبانيا فاضطرت بحركة وطنية أخرى ؛ وتدخلت
السياسة اليوجوسلافية خصيصة السياسة الإيطالية لتأييد هذه
الحركة التي قادها زعيم فتى هو أحمد زوغو ؛ ولم يمض عامان أو ثلاثة
حتى استطاع أحمد زوغو بمعاونة يوجوسلافيا أن ينشئ في ألبانيا
جمهورية مستقلة ، وان ينتخب رئيساً لهذه الجمهورية (فبراير سنة
١٩٢٥) . ورأى زوغو أنه لا يستطيع المحافظة على سلامة الدولة
الجديدة في بلد وعمر قوى الراس قليل الموارد دون معاونة أجنبية ؛
ولما رأته السياسة الإيطالية أن يوجوسلافيا تنافسها في ألبانيا ،
تقربت من أحمد زوغو ؛ وآثر زوغو بعد أن حقق الخطوة
الأولى من برنامجه أن يتفاهم مع حكومة رومه ، وانتهى هذا
التفاهم بمقد ميثاق تيرانا (نوفمبر سنة ١٩٢٦) ، وهو ميثاق تأييد
متبادل وتعاون ودي ، تستطيع الحكومة الإيطالية أن تتدخل
بمقتضاه في شؤون ألبانيا ، وتتمهد أن تحافظ على الحالة القائمة فيها
في حدود الماهدات المقودة وميثاق عصبة الأمم . وفي العام التالي
عقدت ألبانيا مع إيطاليا معاهدة دفاعية لمدة عشرين سنة ، تتمهد
فيها كل منهما بأن تضع تحت تصرف حليفها كل مواردها
المسكينة والمالية وغيرها متى طلبت إليها هذا المون لدرء الخطر
عنها

واستطاع أحمد زوغو أن يهدىء الحالة في ألبانيا وأن يقبض
على ناصية الأمور رغم هذه الاتفاقات التي تقضى على استقلال

ألبانيا وتجملها شبه مستعمرة إيطالية . واستتلت إيطاليا هذه
الفرص لتوطيد نفوذها ؛ وعقدت لألبانيا بواسطة عصبة الأمم
قرضاً قدره خمسون مليون فرنك ذهباً ، وقامت بإنشاء البنك
الألباني الوطني ، ووظفت أموال إيطاليا كثيرة في المرافق
الألبانية ، ومكنت السياسة الفاشستية نفوذها من ألبانيا . واعتمد
أحمد زوغو على هذا النفوذ في تأييد مركزه وسلطانه ؛ وفي سبتمبر
سنة ١٩٢٨ أعلن نفسه ملكاً على ألبانيا باسم الملك زوغو الأول ،
واستطاع أن يوطد مركزه وأن يقضى على كل معارضة ؛ ولكنه
شعر في نفس الوقت أن توغل النفوذ الإيطالي في ألبانيا ، يشير
الشعور الوطني ، وقد ينقلب هذا الشعور ضده ، ورأى من جهة
أخرى أنه ليس في كبير حاجة إلى معاونة إيطاليا به ؛ فلم يقبل
أن يجدد ميثاق تيرانا الذي انتهى أجله سنة ١٩٣١ ، وبقيت
معاهدة سنة ١٩٢٧ هي أساس العلاقات بين إيطاليا وألبانيا ؛
ولكنه اضطر أن يعقد اتفاقاً مالياً في صيف سنة ١٩٣١ ، تتمهد
إيطاليا بمقتضاه أن تقدم لألبانيا بشروط معينة قرضاً قدره مائة
مليون فرنك ذهباً بلا فائدة ، وتؤدي منها إليها كل عام عشرة
ملايين

واهتمام السياسة الإيطالية بألبانيا وتمكين نفوذها منها يرجع
إلى عوامل جغرافية وعسكرية خطيرة ، فألبانيا تقع في مواجهة
إيطاليا الجنوبية على الضفة اليمنى من بحر الأدرياتيك ، وليس بين
نقر بارى الإيطالي وبين نقر دورازو الألباني أكثر من بضعة
ساعات ، ولا يفصل برنديزي وقالونيا أكثر من مائة كيلومتر ؛
نم إن شواطئ ألبانيا تصلح بطبيعتها قواعد ومرافق حصينة
للأسطول الإيطالي ، على حين أن الشواطئ الإيطالية المواجهة
ليست لها هذه الخاصة . ولألبانيا وقت السلم جيش نظامي يبلغ
تسعة آلاف ، ويمكن وقت الحرب أن يقدر بمائة ألف ، وهو
مدرب على الأساليب الإيطالية بحيث يقدر وقت الحرب بالنسبة
لايطاليا عوناً لا يستهان به . ومن جهة أخرى فإن وقوع ألبانيا
في جنوب يوجوسلافيا خصيصة إيطاليا ومنافستها القوية يجعلها
إذا نشبت حرب بين الدولتين فتطرة سهلة للوصول إلى إيطاليا
وتهديد شواطئها وثغورها الجنوبية بسرعة ؛ وإيطاليا تحسب

روح من القلق والتدمر حول انك زوغو وحكومته ، وتحركت المارسة لتحاول فرستها ؛ والظاهر أن الحركة الأخيرة كانت أترًا من آثار هذا الارتباك العام ، وأنها ليست إلا بداية قد تمعقها محاولات أخرى إذا لم تنح للعكس زوغو وعصيته فرصة لتوطيد مركزهم بالتفاهم مع إيطاليا وتلقى مموئتها أو آية معونة خارجية أخرى

والحقيقة أن تلك الدولة الصغيرة المسلمة تجدها نفسها في مركز محزن ؛ فهي لا تستطيع أن تعيش مستقلة بنفسها ، ولا تستطيع رغم بسالتها أن تزدود عن هذا الاستقلال الذي يجاهد في سبيله ، وهي مطمح أنظار دولتين قويتين خصيمتين ، وليس في مقدورها أن تغفل من نتائج هذا التجاذب السياسي الذي تتعرض له بموقعها الجغرافي وظروفها العسكرية ، وإذا فلا بد لها أن تختار الخوض لأحد النفوذين : النفوذ الإيطالي ، أو النفوذ اليوجوسلافي ، وقد استنزل أحمد زوغو بنفوذ يوجوسلافيا حتى تمكن من إنشاء ألبانيا الجديدة ومن التربع على عرشها ؛ ثم استنزل بعد ذلك بالنفوذ الإيطالي ليوطد دولته الجديدة ، وما هو اليوم يتبرم بذلك النفوذ ويحاول خلاصاً منه . فهل يكون ذلك نذير العود إلى سياسة التفاهم مع يوجوسلافيا ؟ إن إيطاليا ترى في ألبانيا غنماً تحرص عليه كل الحرص وتممل بكل الوسائل لكي تستأثر به ، وترى فيها مجازاً للتوسع في الشرق ، والسياسة الفاشستية تنشط اليوم إلى التوسع والاستعمار حينما استطاعت ؛ ومن المحقق أنها ستنازع يوجوسلافيا أية محاولة تقوم بها في ألبانيا ، لأنها ترى في مثل تلك المحاولة اعتداء على سلامتها

وعلى أي حال فإن مصير ألبانيا غامض كل الغموض . وخير ما يمكن أن تفوز به هذه الأمة الصغيرة الباسلة هو أن تعيش كدولة « فاصلة » في ظل نوع من الاستقلال ، وأن تعمل للانتفاع بهذا التجاذب السياسي الذي تتراوح بين شقيه بذكاء واعتدال . وشر ما يمكن أن يصيب ألبانيا هو أن تتفق الدولتان المتنافستان على اقتسامها بين سح أوربا التمذنة وبصرها ، وتحقق كل بذلك أطعها ، وتذهب الأمة الباسلة ، كما ذهبت كثيرات غيرها ، ضحية الاستثمار الغربي

محمد عبد الله عذانه
المخلص

لهذا الخطر حسابه ، خصوصاً بعد تحسن العلاقات بين ألبانيا ويوجوسلافيا في الآونة الأخيرة .

ولتحاول الآن أن نستعرض موقف ألبانيا الحاضر بعد الذي أذاعته الأنباء الأخيرة عن وقوع اضطرابات خطيرة فيها يوشك أن تتمخض عن انقلاب سياسي جديد . والظاهر أن هنالك مبالغة في هذه الأنباء قصدت إليها بعض المصادر التي تعمل على تشويه سمعة ألبانيا ولا سيما المصادر اليونانية نظراً لعدم رضى اليونان عن معاملة الأقلية اليونانية في ألبانيا ؛ وهذه الأقلية يسكن معظمها في القسم الذي ضم إلى ألبانيا من مقاطعة ابيروس وهي مثار اختلاف بين البلدين . وتنفي المصادر الألبانية الرسمية هذه الأنباء ، وتقول إن ما حدث كله يتلخص في أن زعماً ناقلاً يدعى محرم بيجرا كطاري قاوم السلطات في أوليشت حينما أرادت أن تقيض لديه على بعض المجرمين الفارين الذين آوأم ، وإن السلطات استطاعت أخيراً أن تقمع حركته وأنه اضطر إلى الفرار مع بعض أنصاره إلى ما وراء الحدود اليوجوسلافية ؛ بيد أنه إذا لم تكن ثورة عامة في ألبانيا ، أو كانت ثمة محاولة إلى الثورة سحقته قبل استفحالها ، فانه لا ريب أن شئون ألبانيا ليست على ما يرام ، وأنها تجوز فترة من الاضطراب والقلق . فنذ نحو عامين تضطرم الكتلة المعارضة لأحمد زوغو بنزعة قوية إلى الثورة وإلى إلغاء الملكية ، وإعادة النظام الجمهوري بعيداً عن الوصاية الأجنبية ؛ وقد أسفرت هذه الحركة منذ نحو عام عن محاولة أهم فيها عدة كبيرة من الشباب التعلّم بالنأمر على سلامة الدولة . ومن جهة أخرى فقد رأت إيطاليا أنها لم تحقق كل ما أرادت من تدخلها في الشئون الألبانية وقررت أن تقطع الاعانة المالية السنوية عن الملك زوغو حتى تجاب إلى مطالبها في السيطرة على التجارة الألبانية ، وافتتاح المدارس الإيطالية المفلقة ، وتعيين مستشارين إيطاليين في الإدارات الألبانية ، وتعيين ضباط إيطاليين لتدريب الجيش الألباني وغيرها ؛ وهذه مطالب لم يقبلها أحمد زوغو وحكومته . وقد أحدث قطع الاعانة المالية ارتباكاً خطيراً في الحكومة الألبانية ، واضطربت المرافق والمشاريع العامة ، ونضبت موارد القصر والإدارات الحكومية ، وساد